برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الخامسة عشرة

أهلا ومرحبا بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشريعة، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كليمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشريعة، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علّم به بعض المعلمين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكدا أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهدا شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. وأوضح أن التقيد بأنظمة الناموس هو عبودية جديدة. وهاجم أولئك المعلمين الكذبة من أصل يهودي.

وتحدث الرسول بولس عن سيرة إبراهيم الخليل، وعن ابنه الأول إسماعيل الذي ولد من الجارية هاجر بتدخل بشري. وابنه الثاني اسحق الذي ولد من زوجته سارة العاقر الحرة بحسب موعد الله لإبراهيم. وكشف بولس أن الجارية هاجر ترمز إلى عهد الناموس الذي عقده الله مع بني إسرائيل في جبل سيناء. وتشير أيضا إلى العبودية، فالناموس يستعبد الإنسان. وترمز أخيرا إلى اليهود الذين مازالوا تحت العبودية. وأكدت لنا هذه الحقيقة الروحية الهامة، أن اليهود لم يعودوا شعب الله كما كانوا سابقا، إذ نُزع ملكوت الله منهم، وأعطي هذا الملكوت إلى كل من يؤمن بالمخلص المسيح من أي جنس أو شعب أو أمة كان.

ثم انتقل الرسول بولس للحديث عن الرمز الذي تشير إليه زوجة إبراهيم سارة الحرة، والتي ولدت ابنها اسحق بحسب موعد الله، رغم أنها كانت عاقر وكبيرة في السن. كتب الرسول بولس قائلا: "وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرة. لأنه مكتوب افرحي أيتها العاقر التي لم تلد. اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخض فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج." (غلاطية ٤:٢٦و٢٧) كما كانت هاجر جارية إبراهيم ترمز إلى عهد الناموس أو الشريعة، وإلى مدينة أورشليم الأرضية أي إلى اليهودية واليهود، فكذلك فإن سارة الحرة العاقر زوجة إبراهيم، ترمز إلى أورشليم العليا السماوية. أي تشير إلى عهد النعمة، نعمة الله التي أُغدقت علينا نحن البشر الخطاة بواسطة المخلص المسيح. هذه النعمة المجانية التي نحصل عليها فقط، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، وليس نتيجة أي عمل نقوم به.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وكما كانت سارة حرة وليست جارية تحت العبودية، فكذلك فإن عهد النعمة هو عهد الحرية الحقة. إذ يتحرر كل من يؤمن بالمخلص المسيح من عبودية الخطية، ويصبح إنسانا حرا لا يخضع لعبودية الناموس. وكما كان عهد الناموس هو والد العبودية، فكذلك فإن عهد النعمة هو والد الحرية. ولهذا قال الرسول بولس عن أورشليم العليا أنها أمنا جميعا، أي والدة كل المؤمنين الذين نالوا الحرية الحقة بواسطة المسيح.

ولقد اقتبس الرسول بولس هنا نبوءة هامة من سفر النبي إشعياء ٥٤:١، إذ دعت النبوءة العاقر التي لا تنجب أولاداً، لكي تفرح وتهتف وتصرخ، لأن بنيها صاروا أكثر من تلك التي لها زوج وتنجب أولادا. أي دعت نبوءة إشعياء العاقر الحرة التي هي أورشليم العليا أي عهد النعمة، دعتها لكي تفرح وتبتهج، لأن أولادها سيكونون أكثر كثيرا من أولاد أورشليم الأرضية، أي أولاد عهد الناموس من اليهود.

وهذا الذي حصل فعلا، فبعد مجيء المخلص المسيح وبدئه لعهد النعمة بدمه الكفاري على الصليب، دخل في هذا العهد الجديد مئات الملايين من البشر. وهكذا صار أولاد عهد النعمة أكثر كثيرا من أولاد عهد الناموس. أجل يا صديقي، لقد أعلن الله خلاصه المجاني عن طريق نعمته، لنا نحن البشر الخطاة. هذه النعمة التي يخلص بها ويتبرر كل من يؤمن بالفادي المسيح. فما أعظم وما أعمق نعمة الله.

ثم أضاف الرسول بولس قائلا: "وأما نحن أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد." (غلاطية٤:٢٨) لقد ولد اسحق نتيجة وعد الله لإبراهيم أنه سيولد له ابن من زوجته سارة، رغم أنها كانت عاقر وكبيرة في السن. أي أن ولادة اسحق كانت أعجوبة وبعكس المنطق البشري أو بحساب وتخطيط البشر، إذ اعتمدت بالكلية على وعد الله. وكانت ولادته على عكس ولادة إسماعيل من الجارية هاجر الذي ولد بتدخل من البشر. ولهذا نستطيع وصف ولادة اسحق أنها كانت عطية أجزلها الله على إبراهيم وزوجته سارة، أي نعمة مجانية وبدون أي مقابل.

لذلك قال الرسول بولس هنا أن المؤمنين بالمسيح هم أولاد الموعد كإسحق. أي أن حصولهم على عطية الخلاص والغفران الكامل، يعتمد بالكلية على نعمة الله المجانية لهم، وليس على أي عمل أو جهد يبذلونه. أجل إن الخلاص هو عطية مجانية يهبها الله لنا عندما نؤمن بالمخلص المسيح. وهكذا يصبح المؤمنون بالمسيح من أولاد الموعد. أي موعد الله لهم بالخلاص عن طريق نعمته الغنية. ولهذا كتب الرسول بولس في مكان آخر قائلا: "لأنكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله" (أفسس٢:٨)

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وعلينا أن نلاحظ يا صديقي أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بأي عمل أو جهد، لكي يصبح من أولاد الله، إذ أن هذا الأمر يعتمد بالكلية على الله وحده. لهذا كتب البشير يوحنا قائلا: "وأما كل الذين قبلوه – أي آمنوا بالمخلص المسيح – فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (بشارة يوحنا ١:١٢و١٣) لا يستطيع الإنسان إذن، لكي يصبح من أولاد الله، أن يعتمد على نسبه أو أصله أو حتى مذهبه، لكن الأمر يتم بمعجزة إلهية، أي بالولادة الروحية الجديدة التي يجريها الله، عندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح.

كان من المهم جدا أن يشرح الرسول بولس ماذا تعني هذه الرموز، لكي يكشف الحقائق الروحية الهامة للمؤمنين في غلاطية الذين خدعهم بعض المعلمين من أصل يهودي، وليبين لهم بطلان عهد الناموس. أتدري يا صديقي أنه حتى يومنا هذا مازال الكثيرون يظنون أن بإمكانهم الحصول على رضى الله، عن طريق تمسكهم بالفرائض الدينية وقيامهم بالأعمال الصالحة؟ أي تماما كما كان يعتقد المدافعون عن حفظ الناموس. بينما في المقابل يقدّم الله عطيته المجانية بالخلاص للإنسان، عن طريق نعمته الغنية بالإيمان بالفادي المسيح. فما هو الأفضل أن أحاول أنا تخليص نفسي أم أن أعتمد بالكلية على الله ونعمته؟

إن الله يدعوك صديقي المستمع لكي تعتمد بالكلية على نعمته الغنية. فهو هيأ لك الخلاص بواسطة الفادي المسيح الذي مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبك وقام من بين الأموات لكي يهبك الحياة الروحية الجديدة والخلود. فلما لا تؤمن اليوم صديقي بهذا المخلص الفريد، وهكذا تحصل على نعمة الله المجانية، وتصبح من أولاد الله، لا بل من أولاد الموعد.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service